أبو رافع : إنّا للهِ وإنّا إليه راجِعُون .

علي : (تدمع عيناه) يرحمكَ اللهُ يا أبا حَفْص . ما خلّفت أحداً أحبَّ اليّ أن القَى اللهَ بمثْلِ عَمَلِهِ منك . وأيمُ اللهِ إن كنتُ لأظنُّ ليجعَلَنَّكَ اللهُ مع صاحبَيْك . وذلك اني كنت كثيراً ما أسمعُ رسولَ الله ﷺ يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر .

« ستار »

موقع الأديب
علي احمد باكثير
www.bakatheer.com

خاتمة

المشهد الأول

جانبٌ من المسجدِ النبوي الشريف يظهرُ فيه المِنبرُ وقد جلس عليه عثمان بن عفانَ ووقف أمامُه عبيدُ الله بن عمر في يديه القيدُ وبجانبه أبو طلحةَ الأنصاري كأنـــه يحرُسه وقد ظهرَ على يمين المِنبرِ بعض كبار الصحابة علي وطلحة والزبير وسعد وابن عوف وعبد الله ابن عمر وعلى يسار المنبر القـَماذَبان وكعب الأحبار والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص ومن دون هؤلاء وأولئك أفيـــاءُ من الناس امتلأ بهم المسجدُ .

عثمان : أدعُ لي عبدَ الرحمن بن أبي بكر ليؤدِّيَ شهادَته .

أبو طلحة : (مناديا) عبد الرحمن بن أبي بكر .
(يظهر عبد الرحمن بن أبي بكر ويقف أمام المنبر) .

عثمان : أرِنَا الخنجرَ يا صُهَيْبُ .

صهيب : (ينهض) هوذَا يا أمير المؤمنين (يبرز الخنجر في يده) .

عثمان : يا عبد الرحمن بن أبي بكر أهذا الخنجرُ الذي وصفتَه ؟

عبدالرحمن : نعم يا أمير المؤمنين هو بعَيْنه .

عثمان : فماذا تَرَى في الهُرْمزان وجُفَيْنَة ؟

عبدالرحمن : إن كان هذا هو الخنجر الذي قُتِلَ به عمرُ فلا أرى الثلاثةَ إلا قد اجتمَعُوا على قتْلِه .

عثمان : فهل تَرَى أن الهرمزان وجفينة كانَا مُتوَاطِئَيْن مع أبي لؤلؤة .

عبدالرحمن : نعم إن كان هذا هو الخنجر الذي قتل

به عمر .

عثمان : من الذي ألقى البُرْنُسَ على عدُوّ اللهِ أبي لؤلؤة يومَ الحادِثِ ؟

صهيب : حطّان أخو بني غَنْم .

عثمان : أدعُه يا أبا طلحة .

أبو طلحة : (منادياً) حطان أخا بني غنم !
(يظهر حطان)

عثمان : أنت الذي انتزَعْتَ الخنجرَ من أبي لؤلؤة؟

حطان : نعم يا أمير المؤمنين .

عثمان : أهو هـذا ؟ (يشير الى الخنجر في يد صهيب)

حطان : أجل هو بعينه .

كعب : قامَتْ عليهما البيّنةُ إذن يا أمير المؤمنين .

أنس : كذَبْتَ يا كعب أين هي البيّنةُ ؟

كعب : الخنجرُ الذي قُتِلَ به عمرُ هو الذي رآه

عبدُ الرحمن بن أبي بكر مع الثلاثة ليلة الحادثِ .

أنس : يا أمير المؤمنين ما يُدْرِينا ماذا كان حديثُهم ساعة بَغَتَهُم عبدُ الرحمن بن أبي بكر ؟

كعب : لا ريبَ كانوا يتناجَون بقتل أميرِ المؤمنين عمر .

أنس : يا عبدَ الرحمن بن أبي بكر . هل سمعْتَ من حديثِهِم شيئاً ؟

عبد الرحمن: اللهُمّ لا .

أنس : يا أمير المؤمنين إن العَجَمَ في المدينه يستَروِحُ بعضُهم إلى بعض فلعلّ أبا لؤلؤة قد جالسَهُما تلكَ الليلةَ دُون أن يُطْلِعَهُم على نِيَّته السَيِّئَه .

كعب : فكيف ثارُوا لما بغَتَهم ابنُ أبي بكر فسقَطَ من بينهم الخنجرُ ؟

أنس : سبحانَ اللهِ ثارُوا للبَغْتَه .

عبيد الله : يا شيخَ السُّوءِ أُتدَافِع عن قَتَلَةِ عمرَ ؟

أنس : غَفَرَ الله لـــك يا ابن أخي . إني اعرفُ الهرمزان وأعرف إخلاَصه و نُسُكَه وحبَّه لأبيك فلا يُعْقَلُ ان يشترِكَ في قَتْلِ ابيك .

عبيد الله : تذكُرُ أنه قتل أَخاك البرَاءَ بن مالك .

أنس : إنما كان ذلك حين كان مُشْرِكاً قبل أن يَهدِيَه اللهُ إلى الاسلام .

كعب : كان مِلكاً من ملوك التَّاجِ في فارسَ فلا غروَ ولو كان مُسلما ان يحقِدَ على من مَزَّقَ مُلكَهُم .

عبد الله : يا كعبُ بن ماتع اتَّقِ اللهَ !

كعب : يا ابنَ عمر اني أريدُ أن أنقِذَ أَخاك .

عبد الله : بل أنت دَاعِي فتنةٍ .

كعب : داعي فتنةٍ ؟

عبد الله : يا كعب بن ماتع لا تدَعني أُفشي للناسِ

ما أمرني عمر باخفائِهِ .

كعب : يا عبد الله بن عمر إن كنت لا تريد أن أنْتَصِفَ لأخيك من قتلَةِ أبيك فانت صاحبُ الكلمةِ الأولى في ذلك (يجلس)

عبيد الله : يا أخي إن لم تشأ أن تُدافِعَ عني فلا تمنَعْ غيرك أن يفعلَ .

عبد الله : يا أخي لا يغرّنك من يدافعُ عنك بالباطل فلن ينفعك. وإن أميرَ المؤمنين قد أحضرَ هؤلاء الجلّةِ من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار لينظرُوا معه في أمرِكَ ويشيرُوا عليه فيما يَقْضِي به وانهم لن يَظْلِمُوك .

عبيد الله : وماذا يمنعُهم من ظُلمي وقد سرّهم مقتَلُ أبي ؟

عبد الله : مه يا عبيد الله .

عبيد الله : هذا أحدُهم قد تطوّع آنفاً فظلَمَني إذْ

دافَعَ عن الهرمزان وأثْنى عليه وطالبَ بدَمِه وأهدَرَ دَم عمر .

أنس : مَعاذَ الله يا ابن أخي أن يَصْدُرَ ذلك من رَجُلٍ مسلمٍ .

عبيد الله : من دافَع عمَّن قتلَك فقدْ أهدَرَ دَمك .

أنس : يا ابن أخي إني شهِدْتُ بما أعلمُ من دَخِيلَةِ الهرمزان . والله عز وجل يقول : ولا تكتُمُوا الشهادةَ ومن يكتمْها فإنه آثِمٌ قلبُه ..

عبيد الله : واعمراه . وا أبتاه . لقد صارَ أصحابُك يا أبي يخشَوْن اللهَ في قِتْلَتِك ولا يخشَوْنه فيك .

عثمان : والآن يامعْشَرَ المهاجرين والأنصار . أشيرُوا عليّ في هذا الذي فتَقَ في الدِّين ما فَتَق.

عبيد الله : كلاّ والله ما فتَقْت ولكنّي رقّعْتُ الفُتْق.

عثمان : اسكتْ فليس الحديثُ مُوَجّهاً اليك .

عبيدالله : لا والله لا اسكُتُ عن الحق أبداً .

عثمان : ماذا تَرَوْن فيـــه يا معشَرَ المهاجرين والأنصارِ ؟

(يصمت الجميع كأنهم يُشْفِقُون على عبيدالله من الحكم بالقتل)

عثمان : ويحكم ما بالُكم لا تُجيبُون ؟ أشِيرُوا عليّ في أمرِهِ .

علي : يا أميرَ المؤمنين أرى أن تقتُلَه فما من الحقّ تركُه .

سعد : وأنا أرى أيضاً أن تقتُلَه .

الزبير : وأنا كـذلك .

طلحة : ليس من الحق تركهُ .

عبيد الله : هيه . لقد وَضحَ الصبحُ لذي عَينَيْن .

عثمان : ماذا تَعْنِي ؟

عبيد الله : إن أناساً طمِعُوا فيها بعد عمر فاستَطَالُوا أيام عمر .

عثمان : مه . يا هذا لا تعرِّضْ بالمسلمين .

عبيد الله : والله لو أمكنَـني اللهُ لأقتُلَنَّ رَجالاً مِمَّن شرك في دَمِ أبي . لا والله لا يذهبُ دَمُ عمر هدْراً أبداً . أواه ليْتَني بَدَأتُ بهم قبل جُفَينة والهرمزان .

عثمان : يا ابن أخي لا تجعَلْ على نفسك سبيلاً .

عبيد الله : الأني جَهرت بالحق ؟

عثمان : ويلك لقد مـــاتَ عمرُ يرحمه اللهِ وهو يقول : الحمدُ للهِ الذي لم يجعَـــلْ قاتِلي يحاجّني بسَجْدَةٍ سجَدَها لله قط .

عبيد الله : بل أدْرَكَ بفَرَاسَتِهِ حقيقة الأمر ولذلك سألَكم : أعن مَلأ مِنكم كان هذا ومشورَة؟ ولكنّ عمرَ كان دائماً يصونُ حقوقَ الناسِ ويفرّطُ في حقّ نفسه وأهلِه !

عبد الله : ويلك انك لتقولُ قولاً عظيماً . انك لتتَّهم أصحابَ رسولِ الله ﷺ بالاشتراك في دَم ابيك .

عبيد الله : أي والله .

عثمان : ويلك من تتّهِمُ منهم ؟

الزبير : أتتّهم جزافاً ؟

عبيد الله : إن الذي شَهِدَ لي بذلك لم يَشأْ أن يُعيِّنَهم وإلا لما تركتُهم .

عثمان : مَنْ الذي شَهِدَ لك بذلك ؟

عبيد الله : رجلٌ ثِقةٌ مُطّلِعٌ على بَوَاطِنِ الأمورِ .

عثمان : مَنْ يكونُ ؟

عبيد الله : لستُ في حلٍّ من ذِكرِ اسمه فقد استحْلَفَني لا أبوح باسمه لأحدٍ .

علي : يا ابن أخي اتصَدِّقُ كلامَ هذا الفاسِقِ في أصحَابِ رسول الله وأصحابِ أبيك ؟

عبيد الله : كلاَّ ما هُو بفاسِقٍ .

علي : أو كان يُوغِرُ صدرَك على أصحاب رسول الله لو لم يكنْ فاسِقاً يريدُ أن يُثيرَ الفتنةَ

بين المسلمين ؟

عثمان : يا أيُّها الذين آمَنُوا إن جاءكم فاسقٌ بنبإٍ فتبيّنُوا أن تُصيبُوا قوماً بجَهَالة فتُصْبِحُوا على ما فعلْتُم نادِمين .

عبيد الله : هذه نزلَتْ في أخيك لإمِّكَ الوليدِ بن عُقْبة بن أبي مُعَيط .

علي : ولكنها تصدُقُ على كل فاسِقٍ يريد أن يَكِيدَ لله ولرسوله وللمسلمين .

عبيد الله : لكن صاحِبي ليس كذلك . إني لا أشكّ في صِدْقِه وأمانَتِه وما جرّبْت عليه كذِباً قط . وما أخبرني بشيء إلا وقَعَ وتحقَّقَ .

عثمان : فقل لنا مَنْ هو ؟

عبيد الله : بحسْبك أن تعلَمَ أنه هو الذي أخبرني بشهادةِ عبدِ الرحمن بن أبي بكر قبل ان أسمعَها من عبد الرحمن بن أبي بكر .

سعد : يا أمير المؤمنين لا تدَعْه حتى يذكُرَ لنا

اسمَ ذلك الفاسِقِ .

عبيد الله : لا والله لا ابُوحُ باسْمه ولو قطَعْتم حُلقُومي.

كعب : (ينهض) يا أمير المؤمنين لو سألتَ جمهورَ المسلمين في هذا الأمرِ لقالُوا لك جميعاً : يقتلُ عمرُ أمس ويقتَلُ ابنُه اليوم ؟ هذا لا يكونُ ابداً . يا معشَرَ المسلمين إن كان هذا رأْيكم فاجْهَرُوا به .

المسلمون : (اصوات من كل ناحيـة في المسجد) أجلْ يا امير المؤمنين. هذا لا يكونُ ابداً كَيف يُقْتَلُ عمرُ أمس ويقتلُ ابنُه اليوم ؟ ليس هذا من العدْلِ .

عثمان : (يحاول اسكاتهم) على رِسلِكُم ايُّها الناسُ .

المسلمون : ابعَدَ اللهُ جفينـة والهرمزان . إن شهادةَ عبدِ الرحمن بن ابي بَكْرٍ لكافيةٌ .

عثمان : نشدتُكم الله معشرَ المسلمين لو كان عمرُ حيّاً أكانَ يتركُه ؟

(ينهض عمرو بن العاص)

عمرو : يا امير المؤمنين إن جازَ لعمرَ ان يشتدَّ على نفسه وآله فليس لنا ذلك .

عثمان : لمَ لا ؟ اليس لنا في عمرَ اسوةٌ حسنةٌ ؟

عمرو : الاسوَةُ بعمر ان نشتدَّ على أنفسنا وآلِنا لا أن نشتدَّ على عمر وآل عمرَ .

علي : يا ابن العاص انما ذلك في غيرِ حدُود اللهِ فاما فيها فلا يجوزُ التَّسَاهُل مع آل عمر ولا غيرِ آل عمرَ .

عمرو : لكن النبي ﷺ أوصى بان تُدرأ الحدودُ بالشُّبُهات .

علي : فاين الشُّبْهَةُ والجاني مُقِرٌّ ومُصِرٌّ ؟

عمرو : يا أبا الحسن ان هو الا شابٌّ أخذَ بثأره من قَتَلَةِ أبيه .

علي : لسنا في الجاهلية يا ابن العاص . ليس له ذلك الا ببيّنة وعلى يَدِ السُّلطان .

عمرو : ليس من بيّنةٍ واضحةٍ ولكنّ القَرائنَ تَدُلُّ .

المسلمون : (من أركان المسجد) أجلْ يا أمير المؤمنين. القرائنُ تدلّ ما كان ابو لؤلؤة وحدَه . كان معه جُفينة والهرمزان . ليس من العدْل أن يَقْتُلُوا عمرَ أمس ونقتلُ نحن ابنَه اليوم . لَتَجْعَلَنَّ له مَخْرجاً يا أمير المؤمنين أو ليكونَنَّ شرٌّ كبير .

(ينظر عثمان إلى عليٍّ كأنه يستنجِدُ به في هذه المُشْكلة)

عثمان : ما الرأي يا أبا الحسن ؟

علي : اتَّقِ اللهَ يا عثمانُ ولا تبدأْ عهدَك بنقْضِ حكمٍ من أحكامِ اللهِ .

عثمان : وجمهورُ المسلمين يا أبا الحسن .

علي : انهم لن يُغْنُوا عنك غداً من الله شيئاً.

عثمان : يا أصحابَ رسولِ الله أَما مِنْ مَخْرجٍ ؟

عمرو : يا أميرَ المؤمنين عندي لك مخرجٌ .

عثمان : هاتِ يا أبا عبدالله .

عمر : إن هذا الأمرَ كان قبْلَ أن يكونَ لك على الناسِ سلطانٌ .

عثمان : يا أصحابَ رسولِ الله أما من مَخْرج ؟

علي : لا مخرج يا أمير المؤمنين إلا أن يعفُوَ أولياءُ المقتُولين .

المغيرة : أنا يا أمير المؤمنين وليُّ ابنةِ أبي لؤلؤة وقد عَفوْتُ وقبلتُ الدِّيَة وأبرأْتُ منها آلَ عمر .

المسلمون : أحسنت يا ابن شعبة أحسَنَ اللهُ اليك .

عثمان : فمن وليُّ جفينة ؟

سعد : ليس لجفينة وليٌّ يا أمير المؤمنين .

عثمان : فأنا وليُّ مَنْ لا وَليَّ له وقد جعلتُها دِيَة واحتملتُها في مالي .

المسلمون : أحسنت يا أمير المؤمنين. أحسَنَ اللهُ اليك.

عثمان : بَقِيَ وليُّ الهرمزان ؟

(ينهض القماذبان فتتطلع اليه العيون)

القماذبان : أنا القماذبان يا أمير المؤمنين.. ابن الهرمزان.

عثمان : ماذا ترى يا قماذبان ؟

المسلمون : اقبَلْ الدِّيـةَ يا قماذبان . اصنعْ كما صَنَعَ المغيرةُ وأمير المؤمنين .

عثمان : أيها الناس دعوه يقلْ ما عنده ولا تحملُوه على ما لا يحبُّ .

القماذبان : يا أمير المؤمنين إلى أن أقتُلَه ؟

عثمان : نعم .

القماذبان : ولا تمنعُونه مِنّي ؟

عثمان : لا ولا أحد يمنعُه منك إلا أن تعفُوَ أنت وتقبَلَ الدية .

القماذبان : فإني قـد عفَوْتُ يا أميرَ المؤمنين وقبلتُ الدِّيَة .

عبيد الله : لكني لا أقبـــل يا أمير المؤمنين . لا دِية لقَتَلَةِ عمرَ .

عثمان : لا تخفْ يا عبيد الله. اني ساحتَمِلُهَا في مالي.

عبيد الله : كلا لا أقبل منك يا أمير المؤمنين أن تَدِيَ من قَتَلَ أبي .

عثمان : إذن ندْفَعُك اليه ليقتُلَك .

عبيد الله : افعلوا . دعوهم يقتلُوني كما قتـــلُوا أبي . اليس ذلك هو ما تبتَغُون ؟ اقتلوا آلَ عمرَ جميعاً ولا تبقُوا منهم على أَحدٍ !

المسلمون : يا عبيد الله بن عمر اقبلْ . لا تجعلْ على نفسك سَبيلاً . انا نُشْفِقُ عليك .

عبيد الله : يا معشَرَ المسلمين جُزيتُم خيراً . ولكني أُوثِرُ ان اقتَلَ كما قُتِلَ عمرُ على أن تُدفَعَ الديةُ لقاتِل عمرَ .

عثمان : لا مَناصَ إذن من قتْلِكَ . لقد حكمتَ على

نفسِك .

كعب : حنَانَيْك يا أمير المؤمنين . لا تعجل على عبيد الله واعذُره فانه موتُورٌ .

(يتهامس عبد الله بن عمر وابن عوف وينظران إلى كَعْب في اسْتِيَاءٍ) .

ابن عوف : يا أمير المؤمنين لو أذِنتَ لي ولعبْدِ الله بن عمر فكلَّمنا عبيدَ الله على حِدَة فلعلنا نستطيع أن نردَّه إلى صواب .

عثمان : افعلا إن شئتما .

(ينزل ستارٌ أماميٌّ فيحجب المنظر الأول ويظهر عبيد الله وعبد الله وابن عوف وحدهم) .

ابن عوف : يا ابن أخي إن هذا اليهوديَّ لن يَهدِيَك إلى خير .

عبيد الله : قد علمتُ انكما كرِهْتُما ذَبّه عني ودِفاعَه .

ابن عوف : انك لا تعرفُ سُوءَ طَوِيّتِهِ .

عبيد الله : سبحانَ الله وما شأني بطَوِيَّته ؟

ابن عوف : لقد راقَبْنَاه جيّداً فرأيناه يومِىء للقهاذبان ألا يقبَلَ إلا القَوَدَ فلما أعرَضَ عنه القهاذبان وأعلَنَ قبولَه للدية طفِقَ يحرِّضُك بعَيْنِه لترفُضَ ما فيه نجاتُك وخلاصُك .

عبيد الله : والله لَشدَّ ما أسأتُما الظنَّ بكعْب .

عبد الله : يا أخي لو تعلَمُ رأيَ أبيك فيه .

عبيد الله : وما رأيُ أبي فيه؟

عبد الله : أخبِرْ يا ابنَ عوف عسَى أن يُصَدِّقَك خيراً مني .

ابن عوف : تُعاهِدُنَا أن تكتُمَه ولا تُفْشِيه لأَحدٍ ؟

عبيد الله : وعَلامَ ذلك ؟

ابن عوف : وَصِيّةٌ من عمرَ .

عبيد الله : عاهَدْتُكما لا أُفْشِيهِ لأَحدٍ .

ابن عوف : (بصوت خافض) كان عمرُ يَرى أن كعْباً

من المُتواطِئين مع أبي لؤلؤة .

(يدْهَشُ عبيدُ الله وتتَّسِعُ حدَقتاه ويتهامَسُ الثلاثة هُنَيْهة بكلام غير مسموع)

عبيد الله : تبّاً لليهودِيّ الكلْبِ . والله لأقتُلَنّه شرَّ قِتْلة !

عبدالله : صهْ لا يسمعَنَّك أحدٌ . إن أباك أخذ علينا عهْداً أن نكتمَ هذا الأمرَ ولا نُثيرَه . ولولا حرصُنا على حياتِك ما أخبرناكَ به.

ابن عوف : فكنْ عند حسْنِ ظنِّنا يا عبيدَ الله ولا تكُنْ أولَ مَنْ ينقُضُ وصيةَ أبيك.

عبيد الله : (يتنهد آسفاً) أواه منك يا عمرُ لشَدَّ ما تَهضَّمْتَ نفسَك وأهلَكَ .

(يرفع الستار الأمامي ويظهر المنظر الأول من جديد ويعود عبيد الله وابن عوف الى حيث كانوا)

عبد الله : يا أميرَ المؤمنين لقد عادَ أخي إلى صوابِه.

عثمان : أحقاً يا عبيدَ الله ؟

عبيد الله : نعم .

عثمان : الحمدُ لله .

علي : يا أميرَ المؤمنين أعِد الآن عليهم السؤالَ أيقبلُون الديةَ أم يصرُّون على القَوَدِ فقد عادَ لهم الخيارُ برفْضِ عبيدِ الله .

عثمان : صدَقْتَ يا أبا الحسَن . أنا وليُّ جفينة قد جعلتُها دية واحتملتُها في مالي .

المغيرة : وأنا وليُّ ابنة أبي لؤلؤة قد قبلتُ الدية وأبرأتُ منها آلَ عمر .

القماذبان : (تتطلع اليه العيون مرة أخرى) إليَّ الآن أن أقتلَه يا أمير المؤمنين ؟

عثمان : نعم فقد عادَ اليك الخيارُ .

القماذبان : فاني أتركُه لله عز وجل .

المسلمون : (أصواتهم من كل جانب) بوركت يا قماذبان . بوركت يا ابن الهرمزان . أيها

المسلمون احملُوا هذا الفتى على أعْنَاقِكم .

القماذبان : رُوَيدكم أيها المسلمون . ان أنا الا واحدٌ منكم . دعوني أرجعْ إلى مَنزلي .

المسلمون : (أصواتهم) لا والله يا فتى لا تعُودُ إلى منزلك إلا على الأعْناقِ .

ستار

المشهد الثاني

في بيت عبد الله بن عمر

يرفع الستار عن عبدِ الله بن عمر وامرأتِه صَفِية بنت أبي عبيد وعندهما مرداوند وابنها القماذبان وكأنهم فَرَغوا لتَوِّهم من طعام الغَدَاء .

عبدالله : ما خطبُكما اليوم ؟ ما أكلتُمَا شيْئاً .

مرداوند : أكلنا يا سيدي والحمدُ لله .

صفية : لعل العصِيدَة لم تُعْجبْهما .

القماذبان : بلى يا سيدتي أعجبَتْنا .

صفية : اين هي من الآكال الفارسية التي تصنعُها أُمُّك ؟

القماذبان : اصبحْتُ يا سيدتي أُوثِرُ الأطعمَة العربيةَ.

مرداوند : وأنا أيضاً صِرْتُ أحبُّها وافضّلُها .

صفية : علامَ إذن لم تأكُلا كما يَجِبُ . (ترفع ما بقي من الصِّحَاف) .

عبد الله : لا تُحاوِلاَ الانكارَ . ما اكلتُما اليوم شيئاً.

القماذبان : سأخبِرُكَ يا سيدي بالسبَبِ . الهَمُّ هو الذي شَغَلَنا عن الطعام .

عبدالله : أيُّ هَمّ ؟

مرداوند : ما كنا نريد أن نُثقِلَ عليك .

عبد الله : كلا .. إنما تُثقِلان عليَّ حينَما تُخفِيان عني ما يكرُبكما .

مرداوند : هذا الذي تُثيرُه شيرين الفارسيةُ حولَ الهرمزان .

القماذبان : وتطالِبُ عثمانَ أميرِ المؤمنين بأن يُعِيدَ النظرَ في القضيّة من جديد .

مرداوند : لا يأتِينا السُّوءُ إلا من فارسَ . العربُ قد

سامَحُونا وتَأتِي هذه الفارسيةُ لتحرِّض علينا مرة ثانية .

عبدالله اطمئِنَّا .. لن يَمَسَّكُما من جَرّاءِ ذلك أي مكروه .

القماذبان : لقد بلَغَنا أنها اتَّصلَتْ برومانوس ورِفاقِه من وفْدِ مصرَ ليُساعدُوها في مُطالَبَةِ أميرِ المؤمنين بذلك .

عبدالله : لكنَّ أمير المؤمنين لن يستجيبَ لذلك أبداً.

مرداوند : من يَدْرِي ؟

عبد الله : قد كلَّمني في ذلك فاتفق رأيه ورأيي على العمل بوصيةِ عمرَ .

القماذبان : واهاً عليكَ يا عمر ! ما زلت تحمينَا حتى وأنت في قبرك .

(يدخل غلام حدث) .

الغلام : بالباب يا سيدي رجل اسمه رومانوس ومعه جماعة من رجال ونساء .

مرداوند : دعنا يا سيدي ننسحب .

عبد الله : بل تبقَيان للقائهم أفضل .

مرداوند : ربما جاءوا ليكلّموك في شأن الهرمزان .

عبد الله : ذلك أحْرى أن تجتمعا بهم ، وأنا كفيلٌ بأن كلَّ ما في نفوسهم إذا رَأوكما سيزول .

صفية : الغلام ينتظر يا عبد الله .

عبد الله : مرحبا بهم قل لهم يدخلوا .

(يخرج الغلام ثم يدخل رومانوس والمُغَنّى ابن حارثة ويونس وزوجاتهم خولة بنت الازور وشيرين وارمانوسة) .

رومانوس : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الله : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . أهلاً وسهلاً ومرحباً بوفد مصرَ ووفد العراق.

رومانوس : ووفد الشام . أنا ويونس أصلاً من الشام .

عبد الله : وأهلاً بوفد الشام . وعندنا هذان الضيفان الكريمان القماذبان ووالدته .

(يسود صمت قصير يتوتر فيه الموقف وتنظر شيرين شَزْراً إلى مرداوند).

صفية : مرحبـــاً بك يا ارمانوسة ومرحباً بك يا شيرين ومرحباً بك يا خولة . الحمد لله اجتمع في بيتنا اليوم مصريةٌ وفارسيتان .

رومانوس : وعربيةٌ من بني أسد ! .

صفية : (مبتسمة) أجل يا أبا الروم وعربية من بني أسد .

رومانوس : لعلنا جئنا في وقتٍ غيرِ مناسب ولكني أنا الذي اخترْتُ لهم هذا الوقت لعلمي أننا سنجدك فيه يا عبد الله بن عمر في البيت قبل أن تخرجَ لصلاةِ العصر .

عبد الله : مرحباً بكم في كل وقت . هاتي لضيوفنا ما عندك يا صفية .

الجميع : كلا قد تغدّينا جميعاً منذ قليل .

عبد الله : أين تغديتُم ؟

المعنى : في بيت سعد بن أبي وقاص .

صفية : عند سلمى بنت خصفة الشيْبانية .

رومانوس : قلت له اسْرع بغدائِنا لنلحقَ عبد الله بن عمر .

شيرين : كلِّمْه يا أبا الروم فيما جئْنَا من أجْلِه .

المعنى : قبل أن تحينَ صلاةُ العصر .

عبدالله : هل من حاجة فأقضيَها لكم ؟

صفية : لا يا عبد الله لا تقضِ لهم شيئاً حتى تأخذَ منهم عهداً أن يأكلوا عندي كما أكلوا عند سلمى الشيبانية .

عبد الله : صدقت يا صفيةُ . متى يا قوم تحبون أن تتغدَّوا عندنا ؟ غداً ؟

المعنى : (ينظر إلى شيرين كأنه يُؤامِرُها) بل بعد غد .

عبدالله : أنت الذي تُحَضِّرَهم يا ابن حارثة ؟

المعنى : نعم . هيا يا أبا الروم كلِّمْهُ الآن .

رومانوس : أحقاً يا عبدالله بن عمر أن أمير المؤمنين قد أمرَ بنفي عبيد الله أخيك من المدينة ؟

عبد الله : اللهم نعم .

رومانوس : أمن أجل إني طالبته بإعادة النظر في قضية مقتلِ أبيكَ ؟ أنا إذن كنت السببَ .

عبد الله : كلا يا أبا الروم قد كان في النية نفيُه وهذا إنما عجَّل به .

شيرين : بل أنا كنت السبب لأني جئتُ بالبرهان القاطعِ على أن ذلك الرجلَ هو الذي دبَّر اغتيالَ عمر من عهد بعيد منذ كان في قلعة تستر فما نزل على أمان عمرَ إلا ليقدم عليه بالمدينة فيخدعه بإظهار الإسلام إلى أن تسنَحَ له الفرصةُ فيغتالَه .

عبد الله : معاذ الله يا شيرين أن يفعل ذلك رجل مسلم.

شيرين : مَنْ قال لك أنه رجلٌ مسلم ؟

عبد الله : أشهد إن الهرمزان لرجلٌ مسلمٌ صادق الإيمان .

شيرين : أتشهدُ له يا ابن عمر وتُكذبُني ؟

عبيد الله : معاذ الله يا شيرين فإني أعلم ايمانَك واخلاصَك وصدقَك ولكنك لم تعرفيه إلا مشركاً لم تخالِطْ قلبَهُ بشاشةُ الإيمان بعد .

شيرين : يا عبدالله بن عمر كيف تجتمعُ بشاشة الإيمان وقتلُ عمر أمير المؤمنين ؟

عبدالله : يا شيرين لم يقم على هذا الذي تقولينَه برهانٌ ولا بَيِّنَةٌ .

شيرين : أنا سمعته قال ذلك بصريح العبارة . ولما أردت أن اكشفَ سرَّه للمسلمين ضربني على رأسي حتى غُشِيَ عليَّ فأمرَ رجاله فحملوني إلى بيت النار باصْطُخْر حيث بقيتُ تحت العذاب أربع سنين وهم يحاولون أن يُخرجوني من دين الاسلام .

عبد الله : انما فعل ذلك يا شيرين وهو بعد مشركٌ .

شيرين : انه عاش مشركاً ومات وهو مشركٌ .

عبد الله : أعيذكِ بالله أن تقولي ما ليس لكِ بحق.

شيرين : أغرَكم صلاتُه وصيامُه ؟ لو كان أسلم حقاً لتأثَّم من بقائي في بيتِ النار فسعى لاخراجي منه .

عبد الله : ما يُدريك لعله حاولَ فلم يجد السبيل .

المعنى : كان بحسْبه ان يُخبرَ امير المؤمنين . إذن لكتبَ أميرُ المؤمنين إلى عامِلهِ باصطخر فانقذَها من ذلك العذابِ الطويل .

شيرين : ولكنه حَرصِ على ابْقائي في غَيابات بيتِ النار خشْيةَ أن أكشِفَ سرَّه فأحبِطَ المكيدَةَ التي كان يدبّرها لاغْتيال أميرِ المؤمنين .

رومانوس : الحقُّ ان هذا واضحٌ كالشَّمس وليس من الخيرِ ان تُخْفوه او تُحْجِبوه .

(تنتحب مرداوند باكيةً ثم يتلوها القماذبان فينتَحِبُ هو أيضاً باكياً) .

عبد الله : (مواسياً) كلا لا تَبْكِيا . خَفِّضَا عليكما . حتى لو ثَبَتَ على أبيكما شيءٌ فلا جُناحَ عليكما إذ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أخرى فكيف ولم يثبُتْ عليه شيء ؟

القماذبان : لو شِئْتَ يا ابن عمر لجئْتُك ببَيِّنَةٍ على ذلك.

عبد الله : على ماذا ؟

القماذبان : على أن الهرمزان كان مشتركاً في الجريمة .

عبد الله : يا بُني اتَّقِ اللهَ في أبيك .

القماذبان : سلْ والدَتي فقد سَمِعَتْ اعترافَهُ كما سمعْتُ .

مرداوند : أجل يا عبدَ الله بن عمر لقد سمعتُ ذلك منه .

رومانوس : ومتى اعترَفَ لكما بذلك ؟

القماذبان : يوم مَصْرَع أمير المؤمنين .

رومانوس : فكيف لم تُعْلِنْ ذلك يومَ المُحاكمة ؟

مرداوند : أنا التي أمرتُه ألا يفعلَ . لقد أحبَبْنَا مدينة رسول الله فخشيتُ أن يكرهَنا

أهلُها فلا يكون لنا فيها مُقامٌ .

شيرين : أمن أجلِ أن تبقَيْ أنت وابنُك في مدينة رسول الله رَضيتِ ان يُعاقَبَ ابنُ أمير المؤمنين ثم يُنْفَى منها وأنت تعلَمين ان جفينة والهرمزان كانا مُتَواطِئَيْنِ مع الشقي أبي لؤلؤة ؟

مرداوند : (تبكي) حنانيك يا أختاه ما علِمْتُ بذلك إلا بعد ما نَفَذَ السَّهمُ وقُضِيَ الأمرُ . وما عُوقِبَ عبيدُ الله بن عمر ولا نُفِيَ من المدينة برضىً منا أو طلب ، بل كان ذلك رأيُ الجلَّةِ من أصحاب رسول الله فماذا كنتُ أصنعُ ؟

شيرين : كان عليك أن تُعْلِنِي الحقيقةَ ، أو تَدَعِي إبنَكِ يعلِنُها للناسِ .

مرداوند : صدقْتِ كان ذلك خطأً يا أختاه .

القماذبان : بل مني أنا يا أمَّاه . واللهُ يغفرُ لي ولَكِ .

عبد الله : لا تصدِّقوهما يا قوم . إنهما إنما قالاَ هذا لينفِيَا التبعةَ عنّي . التَّبِعَةُ ليستْ عليهما التبعةُ عليَّ .

رومانوس : عليك أنت ؟

شيرين : كيف ؟

عبدالله : وَدِدْتُ والله لو كتَمْتُ سرّ أبي كما أمَرَني رحمه اللهُ ولكنكم أبَيْتُم إلا أن اكشِفَه لكم.

رومانوس : اكتُمْه إذن كما أمَرَك .

عبد الله : الآن وقد اتَّهَمْتُم هذين المؤمنَيْن الصالحين بما هما منه براءٌ ؟ كلا لا بدّ لي أن أُطلِعَكم عليه . لقد كان أبي يعلَمُ بتوَاطُؤِ جُفَينةَ والهرمزانَ مع أبي لؤلؤة .

الجميع : (بصوت واحد) كان يعلم !

عبدالله : نعم ولكنه أمَرَنا بكِتْمان ذلك حتى لا تقَعَ فتنةٌ في المسلمين .

رومانوس : في المسلمين من عرَبٍ وعَجَم ؟

عبد الله : أَجلْ هو ذاك . وقد جاءني القماذبان يوم المُحَاكَمَةِ فأخبَرَني أنه سيَشْهَدُ على أبيه فحذّرْتُه من ذلك وقلتُ له أتريد أن تخالِفَ وصيَّةَ عمر ؟

رومانوس : الله أكبر ! الله أكبر !

ارمانوسة : يا للرَّوْعَة . هذا أنبَلُ شيء سمعْتُ به في حياتي . هذا ليس من أخْلاقِ البَشَر . هذا من أخْلاقِ الملائكةِ .

مرداوند : فهل عليّ من جُناحٍ يا أخت مصرَ إذا تشبّثْتُ بالبقاءِ في هذه المَدِينةِ المنوَّرة بين هؤلاء الناس ؟

ارمانوسة : لا يا أختاه . لا جناح عليك . إن هذا لمن ذلك السلُوكِ الرّبّانيّ الذي كان يدْعُو اليه السيّدُ المسيحُ .

الجميع : عليه الصلاة والسلام، عليه الصلاة والسلام.

مرداوند : شيرين يا أختاه إن كان الهرمزان قد أساءَ

اليكِ فقد أساءَ الينا أكثرَ إذ أورَثنا خِزْياً سوف يلازِمُنا مدَى الحياة .

القماذبان : لوَدِدْنا واللهِ يا سيدتي لو أنك سبقْتِ قليلاً فأنذرْتِ أميرَ المؤمنين عمر بكَيْدِ هؤلاء الخونةِ . إذن لرُبَّما نجَا أميرُ المؤمنين عمر .

عبد الله : ويحك يا قماذبان . ذاك قضاءُ الله عزّ وجلّ ولا رادَّ لقضائه .

مرداوند : وقد رأيتِ يا شيرين كيف سامَحَنا عمرُ وسترَ علينا فيما أصابَه من أبينا فهل لك يا أختاه أن تسامِحينا أيضاً وتَستُري علينا فيما أصابك منه .

شيرين : (تدركها الرقة فتبكي) بل سامِحيني يا أختاه. وسامِحني أنت يا بني . ما كانَ ليَ أن أؤاخِذَكُما بذَنْبٍ انتما منه بَرَاء . انكما أيضاً مثلي من ضَحَايَا الهرمزان .

القماذبان : قاتلَهُ الله . لقد كان يُظْهِرُ لنا الصلاحَ

والتَّقوى . كان يتهجَّدُ كلَّ ليلة .

عبد الله : صه يا بُني لا تسُبَّ أباك ولا تُقلْ فيه الا خيراً .

القماذبان : يا سيدي أيُّ خيرٍ بقيَ فيه ؟

عبد الله : يا بني ان رحمةَ اللهِ ومغفرتَه أوسعُ مما يظنُّ الظانُّون . وقد كان أبوكَ الهرمزان مُسلماً صالحاً غير انه لم يستطِعْ أن يُصفّيَ قلبهُ من شوائبِ العَصبيَّة لفارسَ ولما ذهب من مجْدِ فارس .

القماذبان : تبّاً لمجد فارسَ . أين هو من مجدِ الاسلام .

رومانوس : صدقْتَ يا بني اين مجد كسرى وقيْصَرَ من مجْدِ عمرَ ؟

ارمانوسة : أجل مـــا سمعنا بمثلِ هذا المجدِ الانسانيِّ العظيم في تاريخ أيِّ أمةٍ من الأمم .

يونس : هذا ما يزيدنا حسرَةً على ذلك الرجل العظيم وسَخطاً على قتلتِه المجرمين .

عبد الله : سامَحَهُم الله . لقد ظنّوا أن عمرَ هو الذي طَوَى مُلكَ كسرى ومُلكَ قيصر فقتلوه. وما علِمُوا إنّما هو هذا الدينُ القويمُ الذي بعثَ به اللهُ محمداً ﷺ إلى البشر كافة لِهدَايَتِهم إلى سبيل الرشاد ولإخْراجِهم من عبادَةِ العبَادِ إلى عبادَةِ ربِّ العباد .

رومانوس : بل قَاتلَهم اللهُ أنّى يُؤْفَكون . يريدون أن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بأفْوَاهِهم ويأبى اللهُ إلا أن يُتِمَّ نورَه ولو كرِهَ الكافرُون .

(ستار الختام)

مطبعة المتني
بيروت ، فرن الشباك ، شارع مار نهرا
تلفون : ٢٨٣٦٣١